

شرح أصول الكافي

[17] إما محمود عليها إن كانت الباء سببا للحمد أو محمود بها إن كانت صلة له ، ولا يلزم من الحمد بها أن يكون الحمد لأجلها ، لجواز أن يكون لأجل غيرها ، كما إذا حمدت زيدا بالشجاعة لأجل سخاوته . وفي بعض النسخ " لنعمته " باللام وهو يؤيد الأول كما يؤيده نظيره في القرينة الثالثة . لا يقال : لا يصح جعل الحمد للنعمة علة للحمد على ما يقتضيه قاعدة التعليق بالوصف ، لأنه من باب تعليل الشئ بنفسه . لأننا نقول : على تقدير اطراد تلك القاعدة الحمد لأجل النعمة بمنزلة العلة الغائية لجنس الحمد فيصح أن يجعل علة له . وإنما ابتدأ بعد التسمية بالحمد لحفظ ما أدرك من آلائه ، وجلب ما يترقب من نعمائه ، مع أنه من أفضل الطاعات وأكمل العبادات إذ الحامد يلاحظ جماله وجلاله ويراعي إحسانه وإفضاله فيكون ذلك سببا لمزيد امتنانه حالا ورضوانه مآلا . (المعبود لقدرته) قدم الحمد للنعمة على الحمد للقدرة مع أن القدرة من الصفات الذاتية التي هي أجدر بالثناء عليها ، لأن النعمة قد وصلت إلى الحامد بخلاف القدرة فان الواصل إليه إنما هو أثره ، فالنعمة أولى بالحمد لها بهذا الاعتبار ولقد أحسن في جعل النعمة سببا لمحموديته والقدرة سببا لمعبوديته ، لأن نعمته الواصلة إلى الغير توجب الحمد من حيث هو وقدرته على جميع الممكنات توجب العبادة والتذلل لله تعالى . (المطاع في سلطانه) السلطان التسلط والقهر أو الحجة والبرهان ، وقد فسر بهما قوله تعالى : * (فقد جعلنا لوليه سلطانا) * وإليه سبحانه مطاع بالمعنيين لكونه قاهرا على جميع الممكنات فيطيعه كل ما كان في عنقه ربة الامكان ، وينقاد له كل من احتجب عن الحس أو يشار إليه بالبنان ، لا يقدر شئ أن يتجاوز عن حده المقدر وكماله المقرر بالأمر المبرم والقضاء المحكم ، وغالبا على جميع المخلوقات بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ، فلا يتمكن أحد أن يرد حجته وبرهانه ويمنع دليله وفرقانه ، ولفظ " في " إما للطرفية أو للسببية والثاني أولى بالنظر إلى السابق واللاحق ، واستعمالها فيه شائع حتى قيل : إنها حقيقة فيه . (المرهوب لجلاله) قال في المغرب رهبه : خافه رهبة ، وإليه مرهوب ، ومنه " لبيك مرهوب ومرغوب إليك " ويفهم منه أن مرهوبا متعدد بنفسه ، والذي يفهم من كلام ابن الأثير في النهاية أنه متعدد بمن ، وعلى هذا حذف " من " للاقتصار كما هو المتعارف ، واللام لأن من عرف عظمته وجلاله ولاحظ غناه عن الخلق وكماله وعلم أن كل موجود بأسره مقهور تحت حكمه وأمره ، وهو يتصرف فيه ما يشاء كيف يشاء ، ويحكم ما يريد كيف يريد ، ولا يسئل ، حصلت له بذلك رهبة وخوف يتحير فيه العقول حيث رأى نفسه عارية عن الاختيار في الرد والقبول كما هو المعروف من أحوال

